المحاضرة الثامنة:

- 1/1 علم اللغات الوصفي:

يهتم بتحليل اللغات في زمن محدّد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد عالم اللغات في دراساته هنا على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى الأفراد، ولا سيما إذا كانت الدراسة متعلقة بلغات لم تكتب. فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها.

ومهما يكن الأمر، فإن عملية تحليل اللغات وتصنيفها، كعملية تحليل الأجناس البشرية وتصنيفها، لا تشكل إلا الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهمة فاللغات، على اختلاف أنواعها، تمثل أداة قيمة في يد العالم.. ولا شك في أنها ستساعده في النهاية، على التوصل إلى فهم أعمق لسيكولوجية الأفراد والمجتمعات. (لينتون ، 1967 ، ص 20)

وتتركز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي تستخدم اللغة الكلامية، ولم تعرف القراءة والكتابة فلا يوجد مجتمع إنساني – مهما تخلفت ثقافته– من دون لغة كلامية يتفاهم بها أبناؤه.

- 2/1 علم أصول اللغات:

يهدف إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية ولذلك، يختص بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق مكتوبة وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة اللغات القديمة التي لم تترك اية وثائق مكتوبة تدل عليها ولكن ثمة رسائل خاصة يمكن للباحث أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك اللغات.

وهناك علاقات تعاونية بين عالم اللغة، والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأنه على كل من الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي، أن يدرس لغة المجمع الذي يجري بحثه عليه.

وبناء على ذلك، تقدم علم اللغويات – في العصر الحاضر– وأصبح يستخدم مناهج علمية وآليات دقيقة، في دراسة لغات العالم.. واستطاع من خلال ذلك أن يتوصل إلى قوانين أساسية وعامة، لا تقل أهمية في دقتها عن قوانين العلوم الطبيعية (وصفي، 1971، ص 31 – 32)

ومن المحتم أن تثير (مورفولوجية) أية لغة، أسئلة بعيدة المدى تتصل بميداني: الفيزياء والقيم.. فاللغة ليست مجرد أداة للاتصال أو الاستشارة الانفعالات فحسب، وإنما هي أيضاً وسيلة لتصنيف الخبرات والخبرة هي أشبه ما تكون بخط مصل الأجزاء، يمكن تقسيمه بطرق مختلفة. (لينتون ، 1967 ، ص

لذلك، فإن الدراسات اللغوية المقارنة، توضح أن الكائن البشري على الرغم من استخدامه لغة واحدة، فهو يقوم بعملية انتقائية غير واعية للمعاني التي استخدمها وذلك لأنه لا يستطيع الاستجابة الدقيقة للمنبهات المتنوعة في محيطه الخارجي.

2–علم الآثار القديمة (الحفريات Archeology):

يعني بشكل خاص بجمع الآثار والمخلفات البشرية وتحليلها، بحيث يستدل منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمة وثائق مدونة (مكتوبة) عنها.

ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيما الثقافات المنقرضة. ولعل علم الآثار القديمة أكثر شيوعا بين فروع

الأنثروبولوجيا، وربما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى. ومثال ذلك، أن اسم (توت عنخ أمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفا لدى الأوساط الشعبية العامة (لينتون، 1967، ص 22)

وعلى الرغم من أن الهدف الأول من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلا أن الهدف النهائي يتمثل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهم العمليات المتصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيرات. ومن المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا، أن الكتابة ظهرت منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وما كتب من ذلك التاريخ معروف لدى الدارسين او الباحثين ، ويمكن بواسطة هذه الآثار المكتوبة معرفة الكثير عن الإنسان (ناصر، 1985، ص 62)

فعالم الآثار يعتمد في دراسته، على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثل طبيعة ثقافاته و عناصرها. وقد توصل علماء الآثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقع وجود بقايا حضارية فيها. كما توصلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل التعرف إليها، ومن ثم مقارنتها بعضها مع بعض. ويستطيع علماء الآثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّراتها وعلاقة كل منها بغيرها.

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا بقايا المواد كمعطيات رئيسية لاستخدام المعرفة العلمية والنظرية، حيث يقوم علماء الآثار بتحليل النماذج الحضارية والتطورات التي طرأت عليها، فتكشف النفايات عن الأوضاع الخاصة بالاستهلاك والنشاطات.

فالحبوب البرية والحبوب المنزلية/ مثلا: تمتلك خصائص مختلفة تسمح لعلماء الآثار أن يميزوا بين النبات الذي تم جلبه، وذلك الذي تمت العناية به محلياً كما

يكشف فحص عظام الحيوانات، عن أعمار هذه الحيوانات التي تم ذبحها، ويزود بمعلومات أخرى مفيدة، تحدّد فيما إذا كانت هذه الأنواع برية أو مدجنة. ويقوم علماء الآثار من خلال بحثهم في هذه المعلومات، بإعادة بناء نماذج الإنتاج والتجارة والاستهلاك (kattak 1994 ,8)

ومع أن الهدف القريب الواضح للأبحاث (الأرخلوجية)، هو استكمال معارفنا ومعلوماتنا عن ماضي الإنسان، فإن الهدف النهائي هو مساعدتنا في تفهم العمليات المتصلة، بنمو الحضارات وازدهارها وانهيارها، وإدراك العوامل المسؤولة عن هذه الظاهرات التاريخية. وقد أصبحت نتائج الدراسات (الأرخلوجية) المتصلة بعمليات التطور، مألوفة لدى العلماء الأنثروبولوجيين جميعهم، والذين يعنون بدراسة ظاهرات التغيير الثقافي (لينتون،1967،ص 24)

ولذلك، يلجا علماء الآثار – الأنثربولوجيون– إلى الاستفادة من أبحاث علماء الجيولوجيا والمناخ، للتحقق من (هوية) البقايا التي يكشفونها، وتاريخ وجودها كما يتعاون علماء الآثار ايضاً، مع المتخصصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية، وذلك لكثرة وجودة (اللُقى) الإنسانية في الحفريات، مع البقايا الثقافية. وقد نجح علماء الآثار المحدثون، في استخدام (الكربون المشع) كوسيلة لتحديد عمر "البقايا" بدقة (وصفي ، 1971 ، ص 31)

ويمكن القول – بوجه عام – إن علماء الآثار القديمة، يحاولون اكتشاف ذلك الجزء من التاريخ الماضي الذي تعرض له السجلات المكتوبة ويقتل عالم الآثار القديمة على ميدان اختصاصه بحماسة، لأن عمله يقترن بمجموعة من الدوافع والمثيرات المغرية، كالرغبة في إجراء أبحاث علمية شاقة واحتمال العثور على كنوز ثمينة ... (لينتون ، 1967 ، ص 23) فعلم الآثار إذا، يدرس تاريخ الإنسان. وما رافقه من

تغيرات ثقافية، في محاولة لبناء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ. وإذا كان علم الآثار يعتمد –إلى حد ما على التاريخ– فإنه يختلف عن علم التاريخ في أنه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرخة، وإنما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة و تدوين التاريخ.